مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْتِ»؟ ومَن مِنهم مُؤلِّف (تاريخ الفتَّاش)؟

أ. د. هارون المهدي ميغا

قسم اللغة العربيَّة، جامعة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، بماكو / مالي

إنَّ المصادرَ العربيَّة القديمة التي كتبها المسلمون العرب، من المؤرِّخين والرَّحالة والجغرافيين، وكذلك كثيراً ممَّا كتبه – باللغة العربيَّة – المسلمون الأفارقة، تُعَدُّ من أهمِّ المصادر وأكثرها دقَّة، وبخاصة تلك التي تناولت تاريخ إفريقيا.

ويُعَدُّ (تاريخ الفتَّاش في أخبار البلدان والجيوش) أحدَ أهمِّ المصادر والكتابات التاريخيَّة السودانيَّة، التي تناولتْ تاريخ السودان الغربي (غرب إفريقيا) بإمبراطوريَّاته وممالكه الثلاث: (سنغاي Sonay، غانا، مالي)، وإنْ كان التفصيل في تاريخ إمبراطوريَّة سنغاي الإسلاميَّة أكثر.

ومن أهميَّة هذا المصدر أنَّ مؤلِّفه من أبناء هذه المنطقة، وعايَش هو وكثير من أفراد أسرته قبله تاريخ المنطقة، كما أنَّه من أسرة دينيَّة وعلميَّة وفقهيَّة وقضائيَّة، كان أفرادها مصاحبين لبعض ملوك إمبراطوريَّة سنغاي، وبينهم وبين بعض أولئك الملوك نَسَب ومصاهَرة.

ولقد اختلفت الأقوال وتعدَّدت الآراء في مؤلِّف هذا الكتاب المهمِّ، وكان من أهمّ أسباب هذا الاختلاف: اختلافُ تواريخ بعض الأحداث والوقائع، واختلافُ عصور المتحدِّثين عنها، ووجودُ أكثر من شخص يُسمَّى «محمود كَعْت» تجمعهم قرابةُ أُبوَّة وبُنوَّة وحَفادة، وكلُّهم علماء وفقهاء وقضاة ومؤرِّخون!

ولم تتوصَّل كلُّ التحقيقات والدراسات العلميَّة للكتاب - حسبما وقفتُ عليه - إلى اسم المؤلِّف الحقيقي للكتاب؛ بسبب الأمور المتشابكة السابق ذكرُها، ما عدا التحقيق العلميُّ المقدَّم له بدراسة مفصَّلة وعلميَّة - ستصدر قريباً جدّاً إن شاء الله - عن معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلاميَّة، في تنبكتو، قام بتحقيقه جماعةٌ من الباحثين[1]، وكتاب (Wadu Dofo) للمؤرِّخ الغيني سليمان كانتي (ت ١٩٧٧م) الذي ذكرَ الاسمَ كاملاً، مع خطأ في تحديد تاريخ الوفاة، ومن غير إشارة إلَى أنَّ الكتابَ له - وسيأتي البيان -، حدثَ كلُّ ذلك برغم الشكوك الكثيرة، وبأدلَّة قويَّة، في أنَّ الاسمَ الواردَ على غلاف النسخ المطبوعة لا يمكنُ أن يكون المؤلِّفَ الحقيقي، والاتفاقُ كذلك على أن يكون شخصاً يُنسَب بـ (ابن المختار القنبلي).

لكلِّ ما تقدَّمَ تُحاول هذه الدِّراسة تَلَمُّس قول فَصل، في ضوء ما تَمَّ التوصُّل إليه من أدلَّة؛ ولتحقيق ذلك نَبدأ بالإجابة عن السؤال الأول: مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْت»؟

مَن الذين يُسَمَّوْن «محمود كَعْت»:

هناك ثلاثة أشخاص من علماء إمبراطوريَّة سنغاي Sonay الإسلامية يُسَمَّوْن بهذا الاسم، كلُّ واحد منهم عالم وقاضٍ وفقيه ومؤرِّخ، وبينهم نَسب، وهم بالترتيب:

١- محمود كَعْت الأوَّل:

هو: الحاج المتوكِّل محمود كَعْت، بن زياد الوَعْكُرَيُّ، وقد كان عُمُره - كما ذكر - خمسةً وعشرين عاماً في عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، عام التقاتل بين أسكيا محمد الكبير، وسونِّي أبي بكر بارُ بن سونِّي عَلي بير، وكان عمرُ أسكيا محمد خمسين عاماً[2]، هو كاتب أسكيا محمد الكبير، ورسوله في المهمَّات الرسميَّة؛ فقد ذكر أنَّه ثالثُ ثلاثة أرسلهم أسكيا محمد - منفردين - إلى سونِّي بارُ للاستسلام «فأرسلني إليه؛ أي أنا الفقير المحتاج أَلْفَع (محمود) كَعْت»[3]، وهو مُرافقُ أسكيا محمد في حجّه عام (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، يصف نفسه بـ «المبتلى بالتأليف أنا محمود كَعْت» في حديثه عن العلماء الذين رافقوا أسكيا محمد إلى الحجّ[4].

يبدو أنَّه كان مُعَمَّراً؛ إذ وُلد عام (٨٧١ هـ / ١٤٦٦م)، وتوفي عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م) وعُمرُه قرابة ١٢٥ سنة، ودُفن في تُنبُكتُ، وعندئذ يكون قد أدركه سَميُّه وحفيدُه «محمود كَعْت الثاني»، وسَميُّهُما سبطُ حفيده السابق «محمود كَعْت الثالث».

بدأ بتحرير وثائقَ ومذكِّرات تاريخيَّة عام (٩٢٥هـ / ١٥١٩م) وعمرُه خمسون سنة، كما صرَّح به، ولا شكَّ في أنَّ وصفه نفسه بـ (المبتلى بالتأليف) يدلُّ على كثرة ما سجَّله من معلومات، وعلى تَعدُّد الوثائق والمذكِّرات التي كتب فيها تلك المعلومات.

وبرغم أنَّ هذه الوثائق لم تُجمَع في مؤلَّف واحد، ولم يكن لها عنوانٌ خاصٌّ - حسبما وقفتُ عليه -، فإنَّها صارتْ زاداً دسماً، ورافداً علميّاً قويّاً، لحفيده وسَميِّه «محمود كَعْت الثاني»، ولسبط حفيده وسَميِّهما «محمود كَعْت الثالث» المؤلِّف الحقيقي لتاريخ الفتَّاش - كما سيأتي البيان -.

٢ - محمود كَعْت الثاني:

هو: محمود كعت، بن علي، بن الحاج المتوكِّل محمود كَعْت، بن زياد؛ فهو حفيد للأول من ناحية أبيه، يكثر في كتب التاريخ إسقاطُ اسم والده (علي)، ونسبُه إلى جدّه وسَميِّه «الحاج المتوكِّل محمود كعت»، فلم تذكره تلك الكتب إلاَّ مرَّة واحدة، بمناسبة نَعْي سبطه «محمود كَعْت الثالث»، وقد فعل سبطُه الشيء نفسه في الإحالة على كتاب له، حيث يقول: «ونقلتُ هذا

(١) كاتب هذه السطور من المراجعين والمصححين له، وسيرد فيه جزء كبير من هذه الدراسة.

(٢) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، محمود كعت، ص ٥٨، هوداس ودلافوس، عام ١٩٦٤م، باريس، مطبعة Librairie D, Amerique et d, Orient Adrien maisneuve

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١٦.

كلّه، من كتاب الجدّ ألفع محمود بن الحاج المتوكّل، بخطّ بعض طلبته... »[١].

لكنَّ الباحث إسماعيل جاجي ذكر اسمَ والده نقلاً عن مخطوطات لمحمود كَعْت الثاني، وعن أفراد من الكَعْتيِّين، يبدو أنَّه التقى بهم في قرية (كَرْ شَمْبَا)[٢]، وقد ثبَت عن محمود كعت – نفسه – عدَّةُ طرقٍ في كتابته لاسمه، أغلبُها على أنَّ:

١ – اسم والده هو: عليّ، واسم والد جدِّه هو: زياد.

٢ – التوقُّف عند زياد، في ذكر نسبه، وزاد آخرون: زياد بن أبي بكر[٣].

وُلد محمود كَعْت الثاني في أيَّام أسكيا محمد الكبير[٤]، وعاصر أسكيا داود بن أسكيا محمد، وكان من المقرَّبين إليه، ومستشارَه، وصهرَه زوجَ ابنته عائشة كيمَر Tchémari[٥]، تكرَّر ذكرُه في الحديث عن الأحداث في عصر أسكيا داود[٦]، وكان حَيّاً عام (٩٩٦هـ / ١٥٨٧م) في تِنْدِرْمَ، وشَهد بدايات سقوط مملكة سنغاي.

تُوفِّي ليلة الاثنين (١٠٠٢/١/١هـ / ١٥٩٣م) – كما يقول السعدي – في أَزْكيا[٧]، بـ (جِمْبيلاَّ Djimbella قرب بحيرة ديبُو، في إقليم موبتي (الإقليم الخامس من أقاليم جمهوريَّة مالي)، ونُقل جثمانُه لدفنه في تُنبكتُ.

وهو سَمِيُّ جدِّه من أبيه محمود كعت الأوّل، ويَنقُل إسماعيل جاجي عن: (عَلي غاو، بن محمود، بن محمود كعت الثالث) أنَّ اسم أمِّه: خديجة بنت أبي بكر (أكبر إخوة وأخوات أسكيا محمد)[٨].

لمحمود كعت الثاني مُصَنَّفاتٌ تنقسم إلى نوعين:

أ – الصنف الأول: كتابٌ: عنوانه: (تذكرة الإخوان عمَّا تركوا من الأعوان) (مخطوط)، وهو مُؤَلَّفه الوحيد، وهو كتاب تاريخيٌّ يتكوَّن من مجلَّدين:

في المجلد الأوّل: موضوعاتٌ يمكن تصنيفها – كما يقول إسماعيل جاجي – على النحو الآتي: حديثُه عن أسرته، ومشاكلها، وهجرتها إلى السودان الغربي بعد مغادرتها الأندلس، والعلاقة بين بني كَعْت والسِّيلاَّنْكي Syllantche[٩]، وعلاقة أسرته بالأسرة المَلَكيَّة في سنغاي Soŋay، إلى وفاة أَسْكيا محمد، وأسفاره برفقة أسكيا، والمساجد والقصور التي بناها أسكيا، بأسمائها وأماكنها، ثمَّ الخاتمة، وهي عبارة عن رسائل وفتاوى.

أمَّا المجلَّد الثاني: فقد تحدَّث فيه عن الأندلس، وقد سبق: – عن سبطه وسميِّه – أنَّه نقل من كتاب جدِّه، بخطّ بعض طلبته، ولم يُسَمِّ الكتاب؛ فقد يكون هذا، أو بعض التعليقات الآتية.

ب – الصنف الثاني: ملاحظاتٌ، وتعليقات: وهي متنوِّعة، ومكتوبة على حواشي المخطوطات – وصل عددُها إلى مائتين وثماني عشرة (٢١٨) – أو في بعض الوثائق، أو في المذكِّرات.

وقد قام سبطُه وسَمِيُّه محمود كَعْت الثالث[١٠] بنقل أجزاء من الكتاب السابق، والملاحظات، والوثائق، على النحو الآتي:

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) انظر: حيدره: إسماعيل جاجي: ألفا قاتي (كعت) محمود حياته وأعماله، ص (٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢١٦)، ضمن مجموعة بحوث بعنوان: (تمبكتو ثقافة متعدِّدة) Editions Yeredon,(Hmidou MAGASSA) Tombouctou son savoir-être multiple, Études Eurafricaines, L'Harmattan

قرية (كَرْ شَمْبَا): تقع – الآن – في منطقة تنبكتو.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (٢٢١ ، ٢٢٢).

(٤) انظر: تاريخ الفتاش، ص ٨٢.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص (١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٨).

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص ٢١١.

(٨) انظر: ألفا قاتي (مرجع سابق)، ص ٢١٣.

(٩) انظر تفاصيل عن هذا الاسم، ونسبة بعض ملوك سنغاي إلى (سيلاَّ) في بحثنا: (تحريف دلالات الألقاب، والوقوع في أخطاء تاريخيَّة، ألقاب الملوك في إمبراطوريَّة سنغاي نموذجاً)، مجلَّة دراسات إفريقيَّة، إصدار مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة، جامعة إفريقيا العالميَّة، الخرطوم، عدد ٤٥، سنة ٢٧، يونيو ٢٠١١م / رجب ١٤٣٢ه. ويُعَدُّ الكاتب المذكور أعلاه (إسماعيل جاجي) أكبر دعاة يهوديَّة هذه الأسرة، والباحثين عن تاريخ السلالات اليهوديَّة والإسبانيَّة في تنبكتو، وإمبراطوريَّة سنغاي، تدعمها جهات يهوديَّة وأوروبيَّة، وقد نشر كُتُباً بالإسبانيَّة في هذا، ومُكِّن له لتكوين مكتبة مخطوطات في تنبكتو باسم (مكتبة ألفا القوتي). انظر تفاصيل عن جهوده في: بحثنا السابق، وفي بحثنا: (التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا تحت مطارق الباحثين)، مجلّة قراءات إفريقية، مجلّة ثقافية، فصليّة، محكّمة، متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، يصدرها المنتدى الإسلامي، العدد ١ رمضان ١٤٢٥ه / أكتوبر ٢٠٠٤م.

(١٠) انظر: ألفا قاتي (مرجع السابق)، ص (٢٠٦، ٢٠٧).

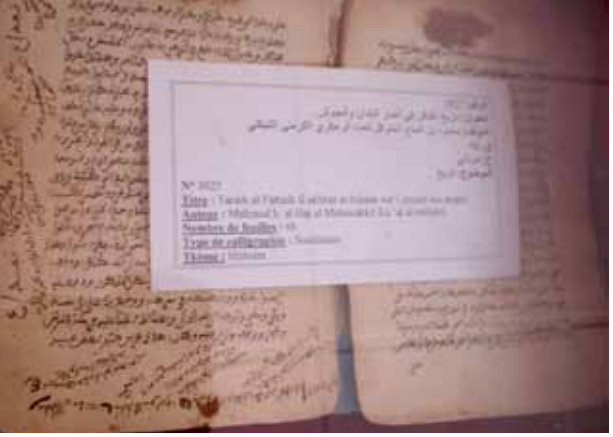

١ – النقل المباشر منهما – مع الإحالة، أو بدونها.

٢ – النقـل، والرواية، عـن أخواله الذين نقلوا – أيضـاً – من المرجعين السـابقين دون إحالة، كما نقلوا شفوياً عن أبيهم محمـود كَعْـت الثاني، وعـن جدِّ والدهـم الحاج المتـوكل بالله محمود كعت الأوّل.

نحو: «هكذا روينا القصة عن خالنا الفقيه القاضي محمد الأمين، بن القاضـي محمود كَعْـت، رحمهم الله»[١]، «كذا ذكره الفقيـه يوسـف (بن محمـود كَعْت) بـن ألفا محمـود كَعْت»[٢]، «رأيتُ بخطِّ خالنا يوسـف (بن محمـود) كَعْت بن ألفع محمود، رحمهما الله»[٣].

يَقِـفُ أخوالُه – أحياناً – على بعض ما لديهم، يقول عن وثيقة كتبها أسـكيا محمد لبعض حَفَدة مُورْ هَوْكار: «ووَقَفتُ أنا علـى ذلك الكتـاب، أوقفني عليه خالي القاضـي إسـماعيل بن الفقيه القاضي محمود كَعْت»[٤].

٣ – الرواية عن والده، هو المختار القنبلي، نحو: «سـمعتُه عـن والدي المختار قُنْبُل، رحمه الله، يتحدَّث به»[٥]، «كذا نقلتُ من شيخي والدي، رحمه الله»[٦].

٤ – النقـل عن بعض العلماء والمؤرِّخين، كصـاحب (درر الحسـان فـي أخبار بعض ملوك السـودان) بابَا كـور بن الحاج محمد[٧].

أمَّـا (تاريـخ الفتَّاش)؛ فلم يذكـره إسـماعيل جاجي في مؤلَّفاته، يقول: «يُلاحظُ القارئُ أنَّنا لم نذكر تاريخ الفتَّاش؛ لأنَّ ألفا قاتي (كَعْت) محمود ليس مؤلِّفاً لهذا الكتاب»[٨].

٣ – محمود كَعْت الثالث:

هو: محمود كَعْت بن المختار القُنْبَلِّي (القُنْبَلِّي، والقُومْبَلِّي، ورد بالصـيغتين، نسـبة إلى قبيلـة لا تزال أفرادهـا في مدينة تنبكتو)، وهو سِـبْطُ محمود كعت الثاني وسَمِيُّه، ومؤلِّفُ (تاريخ الفتَّاش)، عاشَ فـي القرن الحادي عشـر الهجري / السـابع عشر الميلادي، وعاصر آثارَ الغزو المغربي، وحُكمَ الباشاوات، واصَـلَ الكتابةَ التاريخيَّة كما فعل سَمِيَّاه وسَلَفاهُ: (محمود كَعْت الأوَّل، والثاني)؛ فقام بتسـجيل أحداث التاريخ في كتاب؛ بطلب من أسكيا داود بن أسكيا هارون الذي تولَّى أسكاويَّة تنبكتُ عام (١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، وعُـزل عام (١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م)، وهو من أساكي الباشاوات المغربية[٩].

تُوفِّـي محمـود كعت الثالث بـن المختار القنبلِّـي بعد عام (١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)؛ فقـد ذكـر حادثـة وقعـت في هذه السـنة فقال: «وقد رأيتُ بعينـي كثيراً... وذلك في أوَّل عام (١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)»[١٠]، وكان ذلك في عهد الباشا عمَّار بن أحمد عجرود الشـرقي الراشدي (١٠٧٣ – ١٠٧٧هـ / ١٦٦٢ – ١٦٦٦م)، الذي دام ثلاث سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيَّام[١١].

وقد تزامَنَ تأليفُ كَعْـت لكتابه (تاريخ الفتاش) مع تأليف السـعدي (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م) لكتابه (تاريخ السودان) الذي أكمـل أغلبـه فـي الثلاثـاء (١٠٦٣/١٢/٥هـ / ١٦٥٣م)، ثمَّ زاد الباب الأخير الخاصّ بالحوادث التي وقعتْ بين عامي (١٠٦٣ – ١٠٦٥هـ)، أمَّا كَعْت؛ فيبدو أنَّه أكمل كتابه بعد عشـر سنوات من انتهاء السعدي من كتابه، وذلك قُبَيْل عام (١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م)؛ فهو سابقٌ للسعدي في البدء بالكتابة، ولاحقٌ له في الانتهاء.

الأدلـة على نسـبة (تاريـخ الفتَّاش) إلى (محمـود كعت الثالث):

بِنـاءً على كلِّ ما تقـدَّم؛ يُمكِـن الجزم بـأنَّ مؤلِّف (تاريخ

---

(١) تاريخ الفتاش، ص ٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢، وانظر: ص ١٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٨) ألفا قاتي (مرجع السابق)، ص ٢٠٦.

(٩) تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، مجهول، ص ٢٣٣.

(١٠) انظر: تاريخ الفتاش، ص ٧٥.

(١١) تَولَّى في جمادى الأولى ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م، وعُزِل يوم السبت ١٠٧٧/٢/٢٦هـ / ١٦٦٦م، انظر: تذكرة النسيان، ص ٢٣٦.

الفتَّاش) هو: (محمود كعت الثالث بـن المختار القنبلي)، وهو الذي سَـمَّى الكتاب بهذا الاسـم، الذي يبدو أنَّه لم يُسـبَق إليه؛ فالتسمية منه، ولَه، ومن الأدلَّة:

١ - ذكـر كثيـر مـن الباحثيـن - بالإنجليزيَّـة وغيرهـا - أنَّ المؤلِّـف هـو ابـن المختـار، مـن غيـر تحديد اسـمه، مثل: الأب جُوزيـف بـرن سـنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)، وجُـونْ هُونويك J.Hunwick، و ن. لفتزيـون N.Levtzion، وآخرون[١].

٢ - أشار إسماعيل جاجي إلى الثلاثة (محمود كعت الأوَّل، والثاني، والثالث)[٢]، ويبدو أنَّـه التقى بأحفاد الثاني، والثالث؛ حيث نجده يشـير إلى أفراد الأسـرة في قرية (كَرْ شَمْبَا)، وإلى طريقـة كتابتهم لـ: (كَعْت) : (كُوتا)، ونقل عـن أفراد من بني كَعْـت، مثل: علي غاو بن محمود بن محمـود كَعْت الثالث، وعلي هُـولاً بن علي بن محمـود كَعْت الثانـي، ومحمود كَعْـت بن عبد الرحمن أبانا بن إبراهيم بن محمود كَعْت الثالث[٣].

٣ - الأخـوال الثلاثـة للمؤلِّـف الذيـن يُكثر النقـل عنهم: إسـماعيل، ومحمد الأمين (توفي ليلة الأحد ١٠/١٢/١٠٥٥هـ / ١٦٤٦م؛ في بَيْنَا)[٤]، ويوسـف، فهم أبنـاء محمود كَعْت الثاني، ويلقَّب كلٌّ واحد منهم بـ (ألفا)[٥]، فقد اسـتفاد من مذكِّراتهم، ومـا كان لديهم من مخطوطات ووثائـق، وممَّا كانوا يُحدِّثونه به شفاهةً.

٤ - ورد الاسـم الكامـل (ألفـا محمـود كعْتـي بـن مختار غومبيلـي) فـي (Wadu Dofo) للمؤرِّخ الغيني سـليمان كانتي (ت ١٩٧٧م)، الذي تحدَّث عن الإمبراطوريَّات الإفريقيَّة، وترجمـهُ إلـى العربيَّـة الأخ عبد القـادر كَجيرى، مـع خطأ في التاريـخ لوفاته بعـام (١٥٩٣م) الذي هو فـي الواقع تاريخ وفاة (محمـود كعـت الثانـي) – كمـا تقـدَّم[٦] -، ومن غير إشـارة إلـى أنَّ الكتاب له؛ حيث ورد هذا الاسـم ضـمن قائمة بأسـماء

---

(١) انظر: (حركة التجارة، والإسلام، والتعليم الإسلامي، في غربي إفريقيا، قبل الاستعمار، وآثارها الحضاريَّة)، د. مهدي رزق الله أحمد، ص (٢٩ – ٣٢)، ط١ عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، وانظر مراجعه الإنجليزية في: ص ٢٩ / حواشي (١ – ٤).

(٢) انظر: ألفا قاتي، ص (٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١).

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص (٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١).

(٤) انظر: تاريخ السودان، للسعدي، ص ٢٧٦، وذَكَرَهُ بـ «أخونا محمد الأمين كعت»، وهـو الشخص نفسه الـذي ذكره – أيضاً - في ص٣٠٠ بزيادات كلمة «بن» بين محمد، والأمين؛ إذ يتفق النصَّان في كلّ شيء ما عدا هذه الكلمة، وأنَّـه (أي السعدي) هو الذي تولَّى غسله؛ والنصُّ هو: «وفي ليلة الأحد، العاشر من ذي الحجَّة، الحرام، المكمِّلة للخامس والخمسين والألف، توفِّي أخونا محمد، بن الأمين، بن أبي بكر كعت، في بلد بَيْنَا، فغسلتُه، وَصُلِّيَ عليه، في المُصلَّى، ضحوة العيد، ودُفن هنالك، ساعتئذ».
وأُرَجِّحُ أن يكون هو المقصود بقول السعدي: «تُوفِّي الأخ العزيز، والصاحب المُحبُّ، الحنين من عهد الطفوليَّة، الفاضل، الدَّيِّن، الفقيه، محمود كعت، بن علي، بن زياد، في بلد بَيْنَا، ودفن هنالك، غفر الله له، ورحمه، وعفا عنه، وجمع شملنا، وشمله في ظلِّ العرض، وفي الفردوس الأعلى، بمنِّه وكرمه، آمين».
أمَّا تسميته في النصِّ نفسه بـ : «محمود كعت، بن علي، بن زياد، والتأريخ للوفاة، بليلة الثلاثاء، السابع عشر، من شـوَّال، عام ١٠٥٨هـ»؛ فلا أكاد أشكُّ في أنَّهما خطأ من النُّسَّاخ، خَلَطُوا به بين شخصيَّتين مختلفتين، بدليل:
أ - محمود كعت (الثاني) بن علي: هو الذي وُلِد أيَّام أسكيا الحاجّ محمد الكبير، وعاصَر ابنه أسكيا داود، وصاهَرَه، وقد مات – كما تقدَّم، وعند السعدي نفسه- ليلة (١٠٠٢/١/١هـ / ١٥٩٤م) في بلدة (أَزْكيا)، وليس في بلدة (بَيْنا).
ب - يكون السَّعدي قد وُلِد، بعد وفاته، بسنتين عام (١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م)؛ فلا يمكن أن تنطبق عليه الأوصاف المذكورة؛ إذ لا معاصَرَةَ بينهما.
ج - يبقى أن يكون محمود كعت الثالث هو الذي عاصر السعدي.

(٥) انظر: ألفا قاتي، (مرجع سابق)، ص ٢٠٨.

(٦) انظر: نحو موسوعة تاريخيَّة لمالي: إمبراطوريَّة غانة، مترجم عن (Wadu Dofo)، بتصرُّف وزيادة، إعداد عبد القادر بن تيجان كجيرى، ص ١١٣، مؤسسة كجيرى للتربية والبحوث التاريخيَّة، ٢٠١٤م، مالي.

علماء – قدامى ومعاصرين - نسبهم الكاتب، أو المترجم، إلى السونينكي.

مصادر كتاب (تاريخ الفتّاش):

تنوعت مصادر كتاب (تاريخ الفتّاش)، حيث شملت ما يأتي:

١ - ما حصل عليه من وثائق ومذكّرات سَميِّه الأوَّل.

٢ - كتاب سَميِّه الثاني وجدِّه من أمِّه (تذكرة الإخوان)، ووثائقه، ومذكّراته، وملاحظاته، وتعليقاته، على حواشي المخطوطات.

٣ - ما نقَله – كتابةً أو شفاهةً - عن أخواله الثلاثة.

٤ - ما نقَله – كتابةً أو شفاهةً - عن والده (المختار القنبلّي)، ويبدو أنَّه غير (محمد بن المختار) الذي يذكره بقوله: «وقد كنتُ أنا يوماً عند شيخنا الفقيه محمد بن المختار، الملقَّب محمد بن كرتم... قال محمد ولد كرتم رحمه الله: جاء بهذا الكتاب والدي الحاج المختار، من حجَّته، قال: ناوَلَنيه زين العابدين في مصر، وأمرني بإيصاله لأسكيا نوح»[١]، ويذكره – أحياناً كثيرة – باسم «محمد كرتم» فقط.

ولا شكَّ في أنَّه لم يكتف بمُجرَّد النقل من هذه المصادر الأربعة، فلديه زياداتٌ، وتفاصيلُ وتوسُّعٌ، وتنسيق.

٥ - ما نقَله عن غيرهم من العلماء والمؤرِّخين.

٦ - ما سَجَّله من عند نفسه من أحداث عايَشها.

ويؤكِّد مصدريه الأخيرين (٥، ٦) المعلوماتُ التي أوردها عن أحداث مُتأخِّرة لم تقع في أيَّام أصحاب المصادر الأربعة.

لا دليلَ على تحريف (قَاتي) إلى (كَعْت):

يبقى بَعدُ: أنَّ إسماعيل جاجي ذهب إلى أنَّ (كَعْت) و (كُوتا) - الذي نقله عن بعضهم - تحريفٌ لـ: (قَاتي)، الذي التزم به في بحثه كلِّه، كما سَمَّى مكتبته للمخطوطات في تُنبُكْتُ باسم (مكتبة القُوتي).

ولا يوجد لديه دليل قَويٌّ على تحريف (قَاتي) إلى (كَعْت)؛ لما يأتي:

١ - قد تعاقبت على استعمال (كَعْت) ثلاثةُ أجيال علماءُ: كلُّهم فقهاء وقضاة ومؤرِّخون؛ ممَّن يحملون اسم (كَعْت)، ولم يشيروا إلى هذا التحريف المزعوم، ولم يُغيِّروه، بل كَتبوه بأقلامهم، وفي مؤلَّفاتهم! ولم يغيِّرْه – أيضاً - أو يُشِرْ إلى التحريف أحفادُهم العلماء، والفقهاء، والقضاةُ، والمؤرِّخون.

٢ - يُستَبعَد في أمثالهم ألا يشيروا إلى شيء من ذلك؛ لو كان صحيحاً: وقد كانوا ذَوِي علم، وتأليف، ونفوذ، يعيشون في كَنَف السلاطين.

٣ – وفي (قَاتي) حرف القاف (ق العربية)، وهو لا يوجد في اللغة اللاتينية وفروعها الأوروبية: وقد بذل إسماعيل جاجي جهوداً مُضْنية للرجوع بأجدادهم إلى (إسبانيا).

أمَّا وجود حرف العين الساكنة في (كَعْت)، وهو من الحروف الخاصَّة باللغة العربية؛ فإمَّا لأنَّه من (الكَعْت) بمعنى الذهاب مُنتَفخاً من الغضب، ومنه: أكْعَتَ فلانٌ.

وإمَّا لأنَّ العين الساكنة، في الأصل، ألفٌ ساكنة (كَات)، والمؤلِّف قد أكثر من استعمالها في ذكر أسماء وأوصاف لأعلام من الناس، مثل: (أَلْفَغْ = ألفا)، أي الفقيه والأستاذ. و (وَعْكُرَيْ = وَاكُرَيْ) و (مَعْمَغْ = مَامَا) إحدى طرق النطق بـ (محمّد) في لغة (سنغاي Soŋay)، وقد تُشدَّدُ الميم الثانية. و (مَعْ كَيْنَا = مَا كَيْنَا) بمعنى محمد الصغير. و (بَلْمَغْ = بَلْمَا) منصب إداري قديم في إمبراطوريَّة سنغاي Soŋay، قبل حكم السنِّيِّين، واستمرَّ إلى سقوطها[٢].

ومن معاني (كَات) في لهجات لغة (سنغاي Soŋay): الدعوة، والصُّراخ، فَيَعْني مِهْنة الدعوة إلى الله؛ إحدى صفات العلماء والفقهاء والقضاة، وهم كُثُرٌ في هذه الأسرة، لأجيال متعاقبة.

٤ - ورد في نسبه: (الوعْكُرَيُّ) أصلاً؛ نسبة إلى (وَاكُرَيْ)[٣]: ويكاد الإجماعُ يَنعقد على أنَّ: (وَاكُرَي، و سنغاي Soŋay، ووَنغَرا) هم ثلاثة إخوة أشقَّاء، أبوهم براس، أو تراس[٤]، وهم الذين أسَّسوا ثلاث ممالك سودانيَّة، في السودان الغربي: (سنغاي Soŋay، وغانا، ومالي) ■

---

(١) تاريخ الفتاش، ص ١٦٧.

(٢) كما أكثر من استعمال العين بدل الغين: (كَيَمَعْ = كَيَمَغْ)، (يَنْتَعْ = يَنْتَغْ)، (كَمْزَاعْ = كَمْزَاغْ)، و (كاعْ = كاغْ) أي الجدّ. وقد يستعملها بدل الواو الساكنة: (تُعْبَ = تُوبَى)، و (طُعْيَهْ/ تُعْيَهْ = تُويَا)، والمضمومة: (كَاعُ / غاعُ = غاوُ).. إلخ. وانظر: تاريخ الفتّاش، تحقيق، وطبع معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلاميَّة، بتنبكتو، سيصدر قريباً.

(٣) انظر: تاريخ الفتاش، ص ١.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٥ – ٢٦).